السجون والمعتقلات خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830- 1962 - شهادات وقراءات

الدكتور بشير مديني

جامعة البليدة -2- علي لونيسي

الملخص باللغة العربية

تناقش هذه المقالة إحدى الصور البشعة للاحتلال الفرنسي في الجزائر ممثلة في السجون والمعتقلات.هذا العمل يفتح نافذة عن المجازر التي ارتكبتها سلطة الاحتلال من 1830 إلى 1962، بدءا بالعوفية وأولاد ريّاح مرورا بأولاد صبّيح،كانطلاقة لمرحلة ليل الاستعمار.

من أجل ممارسة طابعها الحيواني والإجرامي قامت فرنسا بإنشاء السجون وخاصة المعتقلات حيث مارست فيها كل الأساليب غير الإنسانية وهذا ما تؤكده العديد من الشهادات والتي يمكن تصنيفها كجرائم ضد الإنسانية والتي لا تتقادم كما يقول أهل القانون ،ومن البديهي القول أنها تجاوزت مسألة التعذيب.

إن فرنسا الكولونيالية اعتقدت خطأً أنّ إنشاءها لهذه السجون وهذه المعتقلات يمكنها كبح الجزائريين واتجاهاتهم الوطنية وخنق كل تيار ثوري.إلّا أنّ اعتقادها جانب الصواب ،حيث أصبحت هذه السجون وهذه المعتقلات مدارس بل جامعات تكوّن فيها رجال الحركة الوطنية والثورة التحريرية.

رغم كلّ هذا تبقى السجون والمعتقلات وصمة عار في جبين فرنسا الكولونيالية.هذه بعض الجوانب العامة لهذه المقالة وخطوطها العريضة.

الكلمات المفتاحية

السجون- المعتقلات-الزبانية-مراكز التعذيب-الشهداء-الحركة الوطنية-الثورة-الكهرباء-الماء-الحرق-الإبادة-الملاحقة-جرائم ضد الإنسانية-حقوق الإنسان-القانون الدولي-اللفيف الأجنبي-الاحتلال.

مقدمة

إن آثار وتركات الاحتلال الفرنسي لا تستطيع أيّة هيئة أو مؤسسة مهما امتلكت من إمكانيات أن تحصرها ،فهي بادية للعيان ولا يمكن محوها ومحو مئة وإثنين وثلاثين سنة والتي برزت في ممارسات عديدة لا يسع المقام لذكرها، فذكر الجوانب الدينية والإجتماعية والإقتصادية وحتى السياسية تحتاج إلى جهد كبير ودراسات شاملة وواسعة. إلا أنّنا في هذا المقام سنحاول التطرق إلى بعض من هذه الممارسات خاصة منها تلك المتعلقة بالسجون والمعتقلات. وقبل الإشارة إلى هذه السجون وكيفية بروزها وانتشارها والعوامل المساعدة على ظهورها من خلال شهادات بعض من عايشوها ،وجبت الإشارة في هذه التوطئة إلى شهادات بعض القيادات الفرنسية في المرحلة الأولى للاحتلال وبعدها.

لقد سجل التاريخ وذكر ذات يوم من 16 أفريل 1832 ما صرح به سيء الذكر الجنرال "دوروفيقو" بعد عشرة أيام من ارتكاب إحدى أولى المجازر البشعة التي قام بها الجيش الفرنسي، وفي تقريره قال:"...لقد فاجأنا قبائل سهل المتيجة وهي نائمة وفي العودة كان جنودنا يحملون الرؤوس البشرية على نصال سيوفهم ،أما حيواناتهم فقد بيعت للقنصلية الدنماركية ،وأما أجزاء الجسم الملطخة بالدماء فقد وضعت في معرض في باب عزون ،وكان الناس يتفرجون على حلي النساء

وهي في سواعدهن المقطوعة وآذانهن المبتورة..." إنها الواقعة المقصودة بالإبادة الجماعية لقبيلة العوفية بنواحي الحراش بتهمة غير ثابتة وغير مؤكدة وهي اعتراض وفد فرحات بن سعيد الذي جاء ليقدم الولاء للقائد العام الفرنسي بالعاصمة.

وفي واقعة أخرى لا تختلف كثيرا عن سابقتها والتي حدثت في جوان 1845 [1] سأل أحد المرافقين للعقيد "مونتانياك "

"...ماذا تفعلون بأسراكم من النساء ؟ فيجيب:تسألونني ماذا نفعل بالنساء اللاتي نأسرهن...؟ إنّنا نحتفظ ببعضهن كرهائن ونبادل بعضهن بالخيول ثم نبيع الأخريات في المزاد العلني مثل المواشي، وهذه هي الطريقة التي يجب أن نحارب بها العرب...قتل جميع الرجال الذين تزيد أعمارهم عن خمسة عشر سنة والاستيلاء على جميع النساء والأطفال وإرسالهم إلى جزر "الماركيز" أو أي مكان آخر. وباختصار القضاء على كل من لا ينحني كالكلب تحت أقدامنا..!!!

إن الإبادة الجماعية هي الشعار الذي رفعته فرنسا خلال فترة ليل الاستعمار ورفعه جنودها وقياداتها وتظهر هذه الإبادة بالأرقام .ففي إحصائية ذكرها "فاتان لوكا Vatin Lucas" أن عدد سكان الجزائر ككل لم يتجاوز 5 ملايين نسمة عام 1921 "4,9 مليون نسمة بالضبط " وهو رقم كان يزيد عن خمسة ملايين قبل سنة 1830.

وحسب حمدان بن عثمان خوجة فإن الرقم كان يقارب عشرة ملايين نسمة .وهو ما يعني أن عدد سكان الجزائر لم يتطور حيث بلغ سنة 1954، عشرة ملايين نسمة!!!.وإذا تجاوزنا هذه المرحلة وعدنا إلى شهادات أخيرة لبعضهم فإننا نسجل ما جاءت به صحيفة "لوباريزيان Le parisien "الفرنسية التي صدرت يوم 14 فيفري 2014 وفي إحدى صفحاتها بمناسبة مرور أربع وخمسين سنة على

أول تفجير نووي فرنسي "اليربوع الأزرق gerboise bleue" في 13 فيفري 1960 مايلي "...بعد رفع السر الأمني عن بعض وثائق الجيش الفرنسي،تبين أن الرقعة الجغرافية التي امتدت إليها الإشعاعات النووية الناتجة عن الجرائم النووية الفرنسية بالصحراء الجزائرية في حمودية والمعروفة باليربوع الأزرق تغطي كل شمال إفريقيا وسواحل اسبانيا وصقلية شمالا وتصل إلى العاصمة التشادية نجامينا جنوبا..." وأوضح خبير التجارب النووية الفرنسي ذي الأصول الايطالية "برونو باريلو Bruno Barello " في هذه الوثيقة المنشورة لأول مرة قائلا:"...لا أحد يجهل أن العناصر المشعة هي السبب الرئيسي اليوم في أمراض السرطان والأمراض التنفسية".

هذه بعض من التصريحات والشهادات التي أشارت إليها قيادات فرنسية .والحقيقة أنّ هذه الشهادات لا تمثل إلّا جزءا يسيرا مما فعله الفرنسيون آن احتلالهم للجزائر. وهي التي تعكس الممارسات التي تجلت بشكل واضح في السجون والمعتقلات.

أهم السجون والمعتقلات

لا يمكن الحديث عن السجون والمعتقلات دون العودة إلى شهادات من عايشوها من عايشوها من الداخل ونقلوا لنا صورها المختلفة. وفي هذا السياق نشير إلى ما ذكره أحد المصادر وهو شاهد عيان عاش في السجون والمعتقلات إنّه السيد محمد الطاهر عزوي الذي نقل شهادته في مؤلفه "ذكريات المعتقلين" أشار فيه بكثير من الألم والمرارة لما تعرض له السجناء والمعتقلون .وأشارت شهادة أخرى للسيد عيسى كشيدة في مؤلفه "مهندسو الثورة" والتي تحدث فيها صاحبها عن السجون والمعتقلات و ألوان العذاب التي ذاقها الشهداء والمجاهدون في هذه

السجون [2] كما استقينا معلومات من مؤلف صاحبه مازال على قيد الحياة وهو السيد بلقاسم متيجي الذي يتحدث هو الآخر عن التعذيب في كتاب عنوانه "جحيم معتقل موران" [3] .وتشير هذه المصادر الثلاثة إلى أنواع العذاب والمعاناة التي تلقاها المجاهدون في هذه الأماكن اللاإنسانية .ويقول المرحوم عزوي أن السجن قديم قدم الإنسانية والحضارات ،بينما المعتقل لا يظهر إلا في الحروب والصراعات بين الدول، وفي المعتقل يحشر ذوو الأفكار الحرة والاتجاهات السياسية المختلفة.و إذا زالت الحروب أو انتهت زالت معها المعتقلات في الغالب ولا يبقى إلا السجن وهو مستمر طالما استمرت الحياة.و إذا ما تعرضت دولة للعدوان أو الاحتلال فإن معتقلاتها تغلق ويطلق سراح من فيها ،وحتى السجون يفرج في بعض الأحيان عن من فيها نظرا للطوارئ الحاصلة في البلاد المعتدى عليها.وعادة ما تكون السجون خاضعة لمؤسسات قضائية عدلية تتمتع باستقلالها المالي والإداري أما المعتقل فنجده يتبع أما للجيش أو رجال الدرك أو لشرطة الأمن المدني وتتحكم في مصيره الظروف المحلية أو الدولية .إلا أن الأمر يختلف في الجزائر حيث لا توجد لا ضوابط إنسانية ولا قانونية.

وبالحديث عن المعتقلات التي أنشأتها فرنسا أثناء احتلالها أرض الجزائر وخاصة خلال الثورة التحريرية فإن الدراسات والشهادات قد أحصت أزيد من 50 معتقلا [4] يتمركز الكثير منها في غرب البلاد وهذا لأسباب أمنية حسب السلطات الاستعمارية ،أما المحتشدات فإن أرقامها أزيد بكثير من المعتقلات هذا دون الحديث عن السجون ومراكز الاعتقال العشوائي وغيرها.

إن اندلاع الثورة التحريرية المباركة بالجزائر جعل فرنسا تعلن حالة الطوارئ القصوى بالجزائر،أنشأت فرنسا عشرات المعتقلات نذكر من بينها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ما يلي:

1. **معتقل الشلال:** يعتبر من اخطر المعاقل التي أنشأتها فرنسا وهو يقع جنوب المسيلة وفي شمال شرقه نجد الطريق الرئيسي الذي يؤدي إلى عين الحجل والجزائر العاصمة وشرقه مدينة بوسعادة وغربه مدينة سيدي عيسى هذا المعتقل عبارة عن خيم نصبتها فرنسا "75 خيمة" في منطقة نائية شديدة البرودة ليلا وشديدة الحرارة نهارا. لكن هذا المعتقل الذي ضمّ 700 مجاهد في ظرف وجيز ،بينما طاقته لا تتعدى 300. لم يصمد هذا المعتقل سوى ثلاثة أشهر حيث مزّقت الرياح خيمه فنُقل المعتقلون إلى معتقل الجرف. وواصلت فرنسا استعماله في مجالات أخرى.

2. **معتقل الجرف:** يقع هذا المعتقل هو الآخر شرق مدينة المسيلة بحوالي 15 كلم ، وهو يختلف عن سابقه في كونه عبارة عن شقق أرضية بنيت خلال الحرب العالمية الثانية واستغلها الفرنسيون كمعتقل ابتداء من شهر أوت 1955 وهو مكان لا يليق بالإنسان فحسب بل حتى بالحيوان حسب شهادة بعض الفرنسيين .

3. **معتقل بوسوي "الضاية":** أطلق اسم بوسوي على هذا المعتقل تخليدا لأبناء فرنسا ذلك أن بوسوي هذا هو من أساقفة مدينة "مو" ولد عام 1627 وتوفي عام 1704 وقد اشتهر بمواعظه وتآبينه الفصيحة في المجتمع الكاثوليكي النصراني .وله مؤلفات في اللاهوت والفلسفة والتاريخ لذا سمى الفرنسيون هذا المعتقل باسمه خدمة لشخصه ونكاية في الجزائريين ونشرا للعقيدة النصرانية.

يقع هذا المعتقل جنوب بلعباس في دائرة تلاغ .وبلعباس هي مقر ومنطلق قوات اللفيف الأجنبي منذ عام 1843 ،هذه القوات التي ستوظفها فرنسا على نطاق واسع في حروبها إلى اليوم.

و المعتقل عبارة عن ثكنة عسكرية داخل جبال الضاية ذات البرودة الشديدة والحرارة المرتفعة .بنيت هذه الثكنة عام 1845 .كان معتقل بوسوي مخصصا للمعتقلين السياسيين الجزائريين خلال الحرب العالمية الثانية .وهو من أخطر المعتقلات في العالم حيث لا يرى المعتقل سوى السماء ورؤوس قمم الجبال حيث تحيط به الغابات من كل جهة .افتتح هذا المعتقل مرة أخرى بموجب قانون حالة الطوارئ وهذا منذ 16 أوت 1955 وجميع أو جل معتقليه جلبوا من معتقلات "ماجنطا" و"بيدو" من الأوراس شرقا حيث اشتدّ لهيب الثورة هناك. و لما اتسع نطاق الثورة بين سنتي 1955 و 1956 حيث شملت غرب البلاد فتح الاحتلال معتقلا جديدا بجواره. واشتهر بوسوي باكتظاظه هو الآخر حيث كان يشمل حوالي ألف معتقل بينما طاقته لا تتعدى أربعمائة.

4. **معتقل آفلو**: يقع هذا المعتقل على بعد مئتي كيلومتر غرب الأغواط ،وقد خصصته فرنسا في البداية للمعتقلين السياسيين والحركات الاصلاحية مثل الشيخ البشير الابراهيمي بل أنّه شمل حتى بعض القيادات الوطنية من خارج الوطن مثل باي تونس المنصف والحبيب بورقيبة وهما من قيادات الحركة الوطنية في البلاد التونسية.

5. **معتقل آركول**: يقع هذا المعتقل شرق مدينة وهران ويكاد يكون لصيقا بها وامتدادا لعمرانها ،ويختلف هذا المعتقل عن غيره في تخصصه في التعذيب البدني والنفسي ،كما أنه يعد محطة للمرور حيث أنه كلما جيء بمعتقل من آفلو أو آرزيو

أو الجرف أو سيدي الشحمي أو من المعتقلات الصغرى أو من مراكز التجمع أو من الذين قضوا مدتهم في سجون ''لامبيز'' بباتنة والبرواقية ووهران والحراش والكدية بقسنطينة وعنابة إلا ويمرون على هذا المعتقل تهديدا وترهيبا .وزبانية هذا المعتقل من الاسبان لا يسلم من آذائهم أحدا.

6. **معتقل سيدي الشحمي**: يقع هذا المعتقل جنوب شرق وهران وقد فتحته فرنسا في جويلية 1957 وهو قريب جدا من معتقل آرزيو وآركول ويعد معتقل عبور حيث ملئ في البداية من معتقلات بوسوي وآرزيو والجرف وغيرها من المعتقلات الصغرى.

7. **معتقل الدويرة** :أنشئ هذا المعتقل بالمتيجة عام 1958 وقد خصص في البداية إلى أولئك الذي خرجوا من السجون والمعتقلات بعد مشاركتهم في الثورة التحريرية ثم عادوا والتحقوا من جديد بالثورة والقي عليهم القبض. وخصوصية هذا المعتقل أنه شمل الفئة المثقفة وأصحاب الفكر أو من أولئك الذين انقطعت عنهم زيارات أهاليهم في المعتقلات.

8. **معتقل قصر الطير**: يقع هذا المعتقل بالقرب من مدينة عين ولمان بنواحي سطيف وهو خاص بالمجاهدين والأسرى أصحاب الحق العام .تشبه الحياة فيه "حياة المعتقلين في عهد هتلر"[5]نظرا للعذاب الذي عاناه المجاهدون في هذا المعتقل بالخصوص.

9. **مزرعة أمزيان**: هي مزرعة لأحد الفلاحين الجزائريين تقع على بعد 10 كيلومتر من مدينة قسنطينة تم سلبها من أصحابها عام 1957 "وحوّلت إلى مركز للاستعلامات وتصل طاقة هذا المركز ما بين 500 إلى 600 شخص في الأسبوع

وكانت تعقد فيه اجتماعات دورية لتجميع المعلومات من مختلف المصادر الخاصة بالثورة والتنظيم السياسي الإداري لجبهة التحرير الوطني ودراسة عمليات البحث وتوجيهها واتخاذ القرارات" [6].

وُضعت هذه المزرعة تحت سلطة قائد قطاع قسنطينة الذي يضم العديد من المصالح مثل:

وحدة عمليات القطاع-الفيلق 27 للمشاة - وحدة الدرك الوطني المتنقل - المصالح الإدارية المختصة - بالإضافة إلى المصالح المدنية من شرطة الإستعلامات والشرطة القضائية وشرطة الجو وشرطة الحدود والسكة الحديدية والأمن العمومي.

"كما احتوى هذا المركز على وحدة الكومندوس المكونة من الحركى والدركيين والمفتشين وجنود اللفيف الأجنبي المهيأة لمكافحة المنظمات السياسية والإدارية لجبهة التحرير الوطني والتعاون مع المصالح المختصة"[7]

10. مدرسة جان دارك: تأسست مدرسة جان دارك المختصة في التدريب للحرب المدمرة في 11 ماي 1958 بسكيكدة لغرض تكوين رجال الصاعقة الذين كانوا يقومون بالمداهمات الليلية والقتل دون شفقة والذين ساهموا بشكل خاص في عمليات شال العسكرية .وتعدّ هذه المدرسة كذلك هيكلا أساسيا لتعليم طرق وأساليب الإبادة وتكوين ضباط مختصين في فنون التعذيب حيث تتخرّج منها أفواج وفرق من الجلّادين. وقد أنشئت هذه المدرسة بإيعاز من "بيجار" هذا الأخير الذي وقع تحت أسر فرقته المظلية الأولى بالجزائر العاصمة بقيادة الجنرال "ماسو".

لقد اختارت فرنسا بدقة أماكن هذه المعتقلات ومراكز التعذيب التي حسبها يجب أن تكون بعيدة عن لهيب الثورة وأن تكون في أماكن نائية وخالية من السكان وخاصة على أبواب الصحراء. و تراعي فرنسا الحرارة الشديدة الصيفية

والبرودة القاسية شتاء وتحيطها فرنسا بسياج من الأسلاك الشائكة وتتفنن في زرع الألغام والمتفجرات حولها. هذا فيما يتعلق ببعض السجون والمعتقلات.

أما نوعية المعتقَلين فقد كانوا في البداية يُختارون من السياسيين والمثقفين والطلبة ومن الأعيان وكل من خالفها الرأي أو شكّت فيه. و لما انتشرت الثورة وعمّت البلاد أصبحت فرنسا تحمل إلى المعتقل كل من حامت حوله شكوك ضاربة بذلك عرض الحائط للمبدأ القانوني العالمي "المتهم بريء حتى تثبت إدانته".أو حتى ذلك الذي خرج من توّه من السجن فهي قادرة على إعادته ولا فرق عندها بين من له ماض سياسي أو غير سياسي وأصبحت المعتقلات تضم الكبار والصغار الشيوخ والنساء بل وحتى بعض المتعاطفين مع الثورة مثل بعض المثقفين الفرنسيين الذين أيدوا الثورة بالكلام أو حتى بالحياد .كما جمعت فرنسا الكثير من المثقفين الإسبان والفرنسيين والايطاليين وكان غالبيتهم من الأطباء والأساتذة وحتى النقابيين الذين حشرتهم في معتقل "لودي" الذي يقع على مسافة أربعة كيلومتر غرب المدية.

الحياة داخل السجون والمعتقلات حسب الشهادات

هناك شهادات عديدة حول جحيم السجون والمعتقلات ولنا أن نبدأ بشهادة أحد الفرنسيين وهو السيد "بول تيتجان Paul Titjan "الأمين العام لولاية الجزائر في العهد الاستعماري الذي كتب وقدّم عام 1960 استقالته بعدما زار معتقل بني مسوس بالعاصمة وشاهد بأمّ عينه حقيقة ما كانت تمارسه فرنسا وذكر في استقالته التي وجّهها إلى رئيس المجلس الولائي قائلا :"..لقد أصبحت على يقين كل اليقين منذ ثلاثة أشهر بأننا دخلنا عهد اللامسؤولية السرية الذي لا يمكن أن يؤدي إلا إلى جرائم الحرب.ما كنت لأسمح لنفسي بهذا التأكيد لو أنني لم أكتشف

عددا من المعتقلين أثناء الزيارات التي قمت بها مؤخرا لمركزي "بول كازيل" و "بني مسوس" آثارا عميقة للتعذيب والتنكيل ،آثارٌ تعرضت لمثلها أنا شخصيا من طرف "الغيستابو" في مدينة "نانسي"".

ويبدو أن هذا الرجل قد تذكّر الآلام والمعاناة التي تلقّاها من الألمان فصحى ضميره فأدلى بهذه الشهادة الصادمة واستقال .أما غيره فقد أصرُّوا على عملهم حتى بعد نهاية التعذيب فهاهو ذا "بول أوساريس" الذي توفي عام 2014 قد كتب بخط يده في مؤلفه [8] "...إن العمل الذي قمت به في الجزائر كان من أجل بلادي ،معتقدا بذلك أنني أُحسن صُنعًا وإن كنتُ لم أرد أن أقوم به ،وذلك ما نقوم به ونحن نعتقد أننا نؤدي من خلاله واجبنا الذي لا يمكن أن نندم عليه..." وقد شهد بنفسه أنّه هو الذي أمر بتعذيب وخنق الشهيد محمد العربي بن مهيدي في ضيعة "بوقندورة" في مدخل مدينة الأربعاء في مارس 1957 .كما أنّه هو الذي أشرف على مقتل واستشهاد المحامي علي بومنجل بطريقة بشعة تندى لها جبين الإنسانية.

ويذكر ذات الشخص في ذات المؤلف واقعة تدلُّ على سادية الجمهورية الخامسة وقياداتها بل وعنصريتها حول

اختطاف طائرة الزعماء في 22 أكتوبر 1956 من خلال حديث تم بين "ماكس لوجون Max Le jeune"[9] الذي كان مستشار الحر ب في حكومة "غي مولي Guy Mollet" وبين الجنرال "ماسو" حول مجموعة من "الإرهابيين" -يقصد بذلك المجاهدين الاثنا عشر الذين أُلقي عليهم القبض في أعالي العاصمة- جماعة السيدة الافريقية- من طرف قوات "بيجار" وقد دار الحوار الآتي بين ''ماكس لوجون" و"ماسو" :"...قال "لوجون" لـــــ "ماسو":هل تذكر طائرة دي سي DC3 التابعة لخطوط الأطلس الجوية؟ إنها الطائرة التي كانت تقل إبن بلة

زعيم جبهة التحرير الوطني ورفاقه الأربعة .ردّ "ماسو" مستغربا، من منا لا يتذكر ذلك سيادة الوزير؟ ورد الوزير قائلا:إنها قضية أعرفها جيدا لأن الرئيس "غي مولي" أوكل لي شخصيا مهمة الاشراف عليها بالتنسيق مع الجنرال "لوريو". وعندما علمت الحكومة أن أولئك الأشخاص سيتنقّلون بالطائرة من المغرب صوب تونس أمرتُ وحدات الطيران المتواجدة بوهران بإسقاط الطائرة دون تردد. و لم يمنع تنفيذ هذه المهمة سوى علمنا في اللحظات الأخيرة بأن طاقم الطائرة كان فرنسيا ،وعلمت إثر ذلك أن الضوء الأخضر قد اعطي لنا لتصفية هؤلاء جسديّا إلا أن إكتشاف قادة الطائرة أنهم من جنسية فرنسية جعلنا نلغي هذه المهمة في اللحظات الأخيرة ونكتفي بإلزام الطائرة بالنزول في الجزائر وإلقاء القبض على من فيها." وهكذا فإن السلطة الفرنسية كانت قد قرّرت إسقاط الطائرة بمن فيها لولا علمها في آخر لحظة بأن بعض الفرنسيين كانوا هناك ،تلك هي إذن حقيقة فرنسا.

ظروف المعتقلات والاعتقال حسب شهادات البعض

لا يمكن ذكر كل الشهادات ولا جلّها نظرا لكثرتها لكن هذا لا يمنع ذكر بعض منها والتي نشير إليها فيما يلي.

شهادة السيد بوعلام بَن حمودة

"..لما يحكى عن الجزائريين المعتقلين خلال حرب التحرير الوطني...كثيرٌ من الناس يظنون أن هناك أشخاص متراكمة في المحتشدات والسجون ينتظرون يوم الاستقلال بكل راحة...هذا خطأ...لقد فُرض على الجزائريين المسجونين أعمالا شاقة مرهقة ومهينة مصحوبة بالضرب والشتم و لم تراعى أية حالة للجرحى أو المعطوبين...هذه الأشغال لم يكن لها مقابلٌ غذائيٌ مناسبٌ ولا كاف ولا رقابة طبية زمنية...كما يفرض على المساجين كسر الحجارة طيلة النهار وشحن عربات

الرمل...إنّه من المحزن أنّك ترى من حين لآخر أحد المساجين الذي كان بجانبك قد أصبح مع فرقة الحركى بعد تدريب وتنظيف ذهني يختبر ثم يبعث إلى الميدان ضد جيش التحرير...لكن أقول بصراحة أنّ عددهم كان قليلا..."

شهادة السيد بلقاسم متيجي

"...لقد استقبلنا الضابط "صمّاري" نزلنا من الشاحنتين العسكريّتين ووقفنا صفّين تحية له. فنظر إلينا طويلا واحدا واحدا بنظّاراته الشمسية ماسكا سوطه في يده اليمنى إنه رجل قصير القامة اسمر اللون في الأربعين من عمره...كان في معتقل "موران" تقريبا ثلاثون فوجا في فروع شتى من الأشغال تحت رقابة الملازم "بالفيل" والقبطان "صمّاري" ومن هذه الأفواج كان البناؤون و الأعوان وفوج النجارين تحت إشراف نذير رمانة وعبد الرحمان بن تشيكو وفوج السباكين وفوج الحدادين تحت إشراف عبد القادر العربي وكان جميعهم يعملون في ظروف قاسية ولا يتقاضون مقابل ذلك أجرة.

شهادة المجاهد محمد الميلودي

"...في اليوم الموالي نقلوني إلى حوش "الشنو" بالبليدة دون معالجتي فعرفت عذابا أليما حيث كسروا لي ذراعين رغم جروحي السابقة...قضيت ليلة بالحمى والألم في مصنع الصابون حيث رأيت هناك مجاهدا معذبا منعوه من الخروج إلى دورة المياه ففعل فعلته داخل حذائه أكرمكم الله..."

شهادة المجاهد عمر صامت من الصومعة

"...في ربيع 1960 أخذوا مجموعة مكونة من سبعين سجينا من سجن "لامبيز" إلى البليدة تحت حراسة عسكرية مشددة ،ثم نقلوا أربعين فردا من البليدة إلى معتقل "موران" بقصر البخاري وكنت من بينهم...كان جنود اللفيف الأجنبي

قد نزلوا في "موران" منذ أشهر وكانوا يشتهرون بالعنف والهمجية فقد أجبرونا على بناء قاعات من الحجر تحت الضرب والشتم والاهانة...كان جنود اللفيف الأجنبي بالمعتقل يرغموننا على الزحف أرضا تحت ضربات بنادقهم والركلات بل وأجبرونا على مسح أحذيتهم ولعقها بألسنتنا، ثم يجبروننا على الجلوس فوق لهيب النار...كما كنا نكسر الحجارة بالحجارة لا بالمطرقة...وكان التعذيب بالضرب بالأنبوب المطاطي أو الأسلاك الكهربائية في الأماكن الحساسة وعض الكلاب لسيقاننا وربط الرقبة بالسلك الحديدي مع الأطراف والضرب بالأعمدة الخشبية بالإضافة إلى تركنا عراة مدة زمنية طويلة مع الشتم والسب والصراخ والبصاق..."هذه الشهادات نسوقها دون تعليق أو تعقيب.

أنواع و وسائل التعذيب الجهنمية

لقد كانت كل دول العالم تعتقد أن ما حصل في أوروبا بصفة خاصة خلال الحرب العالمية الثانية سيحول دون تكرار تلك الجرائم الفظيعة التي عانت منها الشعوب جرّاء البطش النازي، إلّا أنّ حرب التحرير الوطني أثبتت أنّ الفرنسيين لا يقلّون وحشية عن النازيين ،حيث كان المواطن الجزائري حقلا للتجارب المبتكرة في التعذيب بعدما تفنّن السفّاحون والجلّادون الذين ينتمون إلى مختلف أجهزة القمع الإستعمارية في أساليب التعذيب ،فمنهم من أخذ تجربته من النازيين ومنهم من أخذها من تجارب الفرنسيين في الهند الصينية ومنهم من كان الإجرام والتنكيل بالآخر خاصة في المستعمرات سمة يتميّز بها.

في هذه الفترة أخذ التعذيب في الجزائر على يد الجيش الاستعماري أشكالا وأنواعا مختلفة وأصبحت له مراكز ومؤسسات خاصة مارس فيها الجلّادون مهامهم بكيفيات مختلفة.هكذا تحوّلت ممارسات التعذيب إلى أداة ووسيلة شرعية من وسائل

الحرب على يد زبانية التعذيب أمثال "ترانكيي" و "أوساريس" و غيرهما من السفاحين الذين كانوا متشبّعين بفكرة عنصرية مفادها أن الأفارقة ومنهم الجزائريين يتحمّلون الألم الجسدي أكثر من الشعوب الأخرى ،"هذا ما أكّدته إحدى المناشير الطبية المزيفة سنة 1957 والتي مفادها أنّ شدة الجرائم المرتكبة في الجزائر والشعوب الآسيوية يلائمها التعذيب النفسي عكس الأفارقة الذين يلائمهم التعذيب الجسدي ولقد أعطى هذا المنشور الراحة للجلّادين للتفنن في تعذيب الجزائريين" (10)

لقد كانت فعالية تلك الأساليب تقاس بمدى ما تبلغه من أقصى درجات العنف والوحشية وهذا في مجالات شتى. وعموما يمكن تقسيم أنواع التعذيب التي كان يتلقّاها الجزائريون على النحو الآتي:

1- التعذيب النفسي

تسعى فرنسا من خلال هذا النوع من التعذيب إلى تحطيم معنويات المعتقلين وتغيير أفكارهم وذهنياتهم، فأثناء عملية الإستنطاق يبدأ الضباط الفرنسيون عادة بتصوير عظمة فرنسا وحضارتها وقوتها بادعاء أنها جاءت للجزائر في مهمة إنسانية (رسالة الرجل الأبيض) بهدف تمدين الجزائريين وإدخال الحضارة والتطور لبلادهم ،ومن جهة أخرى تقوم بتقبيح ما يقوم به المجاهدون ووصفهم بمجموعة من المتمردين والخارجين عن القانون الذين ليس بإمكانهم ولا باستطاعتهم تكوين دولة (11)

كانت تلك الأباطيل والأكاذيب نهجا متبعا من طرف الجلّادين لإضعاف معنويات المعتقلين، وزرع اليأس في وجوه المسجونين ، وجعل القلق يسيطر على أنفسهم مما يسمعونه هذا الشيء يجعلهم يعيشون في حالة خوف دائمة ومستمرة، وهذا ما يوقع آثارا مدمرة في نفوسهم مما يؤدي بهم إلى الإصابة بأمراض واضطرابات

نفسية مثل حالات الجنون ،الإجهاض،الأزمات النفسية، الإنهيارات العصبية، الموت بالأزمات القلبية [12] ومن الوسائل المتبعة في هذا النوع من التعذيب:

بث الرعب في نفوس المعتقلين حيث كان يأتي جنود العدو في الليل إلى مرقد من المراقد فيخرجون أحد المعتقلين بعد أن يذيعوا في المرقد بأنّه قد قرر قتله ،فيؤخذ إلى الزنزانة الفردية فيمكث بها مدة طويلة ثم يساق إلى مرقد آخر ليعتقد زملاؤه بأنه قد قتل فعلا ،الأمر الذي يجعل كل سجين يتروي في ركنه ينتظر دوره ليساق إلى الموت.

كما كان جنود العدو يرهبون المعتقل بإخباره أنه قد تقرر قتله في اليوم الموالي ،وعند سماعه لذلك يصاب بالهلع والخوف الشديدين إضافة إلى السب والشتم اليومي الذي يتعرض له المعتقلون.

كما عمد كذلك العدو إلى تحطيم معنويات المعتقلين بنصب مكبرات الصوت في كل مرقد من مراقد المجاهدين والفدائيين ،وفي الليل تبدأ بالحديث عنهم فتصفهم بالقتلة المجرمين وبسفّاكي الدماء والمجانين وكل الصفات القبيحة والمشينة.[13]

ومن أساليب التعذيب النفسي كذلك أنه غالبا ما كانت الشرطة الفرنسية تجعل المعتقل يرى وهو مقيد والديه أو أحد أقاربه أو جماعة من المناضلين مكبلين بالأصفاد، وتبقى الشرطة تستطلع الضحية وتحدد معامل تأثيرها، ثم يبدأ التعذيب بالقذف والشتم والتي تعقبها فورا ضربات عديدة وذلك لمس شرف المرء وإفقاده توازنه فيصبح في دهشة وحيرة من أمره ،الشيء الذي يجعل بعض المعتقلين يختلقون بعض الأحداث (الأكاذيب) حتى ينجو و أقاربه من العذاب.

وقد طبّق المجرمون أسلوبا جهنميا آخر وهو إحضار أقارب المعذب وإجباره على الرقص عاريا أمامهم، ثم يمثلون به أدوارا مخلة بالحياء وينكلون به أشد التنكيل

،وفي بعض الأحيان يقومون بإحضار زوجة أو أخت أو بنت المعتقل المعذب أو إحدى محارمه ليخيروه بين الاعتراف أو هتك عرضها أمامه، وقد دلهم على هذا الأسلوب اللعين العملاء الخونة من الجزائريين الذين كشفوا للعدو أهمية هذا العملية لما لدى العربي المسلم من صفات الشهامة والكرامة وأنهم مستعدون للتضحية بكل شيء في سبيل المحافظة على العرض.[14]

لقد كان ضباط الشؤون الأهلية كذلك يعملون على إضعاف معنويات المعتقل حيث كانوا يعدون السجين بإطلاق سراحه عن قريب،فيحزم أمتعته ويكاتب أهله ليزف لهم هذا الخبر مما يجعل أهله ينتظرون هذا اليوم بفارغ الصبر ،لكنهم يكرّرون استجوابه ويتصلون بأهله على أنه (المعتقل) رفض الخروج، مما يجعل الزوجة تطالب بالطلاق، الشيء الذي يجعل المعتقل يغير رأيه أحيانا فيصبح (حركيا) خائنا ويصير أبناؤه يلقبونه بالخائن،الأمر الذي يغذي تفكك أواصر المجتمع الجزائري. [15]

لم يكتف العدو الفرنسي بتعذيب الجزائريين فحسب بل تعدى ذلك إلى استعراض جثث أولئك الضحايا بعد التنكيل بهم ،فراح يجول بهم في الشوارع والطرقات أمام الناس لزرع الهلع والرعب في قلوبهم ،وقد أشارت جريدة "لوموند Le Monde "الفرنسية أنه تم عرض ثلاث جثث في كل من "مليانة وأورفيل" [16] "وقد كانت صدورهم عارية تكشف مواضع ثقب الرصاص بعدما قامت سيارة عسكرية بالتجول بهم عبر المدينة، وقد عرفت هذه الأعمال انتشارا كبيرا في عهد "شارل ديغول" خصوصا عام 1959 وكان الهدف منها إحداث تأثير سيكولوجي على السكان، وكما جاء في إحدى تصريحات هذا الأخير قائلا:

"بأن الهدف من هذه الأعمال هو أن نحدث مفعولا ترهيبيا تجاه الخصم والسكان "[17]

لم يتوقف هؤلاء عن ابتكار أبشع الطرق والأساليب في تعذيب الجزائريين نفسيا ومن أبشع ما تفننوا فيه أيضا ما يعرف بطريقة "غسل المخ" بهدف التأثير على أفكار وعواطف ومواقف الشعب لفائدة العدو فتصبح عناصر حليفة لفرنسا وذلك للحصول على الدعم، وقد تم إنشاء مكاتب متخصصة في العمل السيكولوجي وكان يمارس من طرف ضباط فرنسيين متخصصين يتظاهرون بالتواضع والبساطة والليونة في التعامل والبشاشة والكرم، كما يمتازون بالخطابة والهدوء وقوة التأثير والمراوغة حتى يتسنى لهم احتواء عدد كبير منهم في صفوفهم بحيث يكلفونهم بالقيام بمهام متعددة إلى جانبهم ويذكر الطبيب النفسي "فرانس فانون Franz Fanon "[18] أن هناك عدة مراكز لغسل المخ في الجزائر وهي مقسمة إلى قسمين:

- **قسم خاص بفئة المثقفين:** التي يطلب منها القيام بدور المتعاون مع فرنسا، حيث يكلف السجين بتقديم دروس ذات أهمية كبرى عن قيمة المهمة الحضارية التي تحققها فرنسا ،وبأن الاستعمار يقوم على أسس صحيحة و"تفنيد مبادئ ثورة التحرير الوطني والهدف من كل هذا هو مهاجمة أصحاب الشعور الوطني" [19]
- **قسم خاص بالفئة غير المثقفة:** يتقدم أحد خبراء علم النفس فيخاطب المعتقلين بعد جمعهم في قاعات كبيرة محاولا إقناعهم أن فرنسا جاءت إلى الجزائر لتحريرها من الأتراك وللقضاء على الجهل والتخلف وأنّها ستسعى جاهدة لنشر العلم والمعرفة والحضارة والتمدن، وتستمر العملية مع المعتقلين حتى يكشفوا عن أسرار الثورة فإن اظهروا شيئا من الليونة يطلب منهم التنازل أكثر وإن تصلبوا في مواقفهم تسلّط عليهم عقوبات أقصى.

اعتمد الفرنسيون حربا نفسية ولدت مع قيام الثورة التحريرية بل حتى قبلها في بعض الفترات وتنوعت وأصبحت فنا برع فيه الفرنسيون وتفننوا فيه كلما أدركوا

عجزهم في القضاء على إرادة الشعب.ويعد هذا النوع من أبشع أنواع التعذيب وأشده، الهدف منه إحداث جو من الرعب والهلع وسط المعتقلين ومحاولة المحافظة عليه بجعلهم يعيشون في حالة خوف مستمرة ،وبالرغم من كل ذلك فقد أثبت الجزائريون صمودهم وتشبثهم بثورتهم .ولم يقتصر قمع الجزائريين على الجانب النفسي فقط،بل كانت هناك ممارسات لا تقل خطورة عن تلك المذكورة سابقا مثل التعذيب الجسدي حيث يكون جسد الإنسان بين فكّي آلة مدربة جيدا تعرف كيف تطحن اللحم البشري.

2- التعذيب الجسدي

هو من أخطر أنواع التعذيب لكونه يمس الكيان المادي للإنسان ،ويكون التعذيب الجسدي بفعل الأساليب والطرق والممارسات الوحشية التي تلحق الضرر والألم والأذى والتشويه بجسم المعتقل ،بدءا بالصفعات واللكمات على مستوى البطن، و انتهاء إلى أقصى أشكال المعانات تحت جحيم آلة الحرق وانتزاع نتف من الجسم بواسطة الكماشات ،إلى درجة فاقت فيها ممارسات الضباط العسكريين الفرنسيين النازيين .وفي هذا السياق يقول أحد الضباط الفرنسيين "...لقد كان الألمان في أساليبهم غلمانا صغارا بجانبنا" (20). ويتم هذا النوع من التعذيب باستعمال عدة أساليب وحشية تتمثل في ما يلي:

- **التعذيب بالكهرباء:** يعتبر هذا النوع من التعذيب حسبهم ضرورة من ضروريات الاستنطاق لابد أن يذوقه كل معتقل، ويتم بعدة أشكال منها وضع الشخص عاريا فوق طاولة حديدية مكتوف اليدين والرجلين ،ويرشه الزبانية بالماء حتى يكون مفعول التيار الكهربائي أكثر فعالية ليزيد من شدة الإحساس بالضغط الكهربائي ، ويوضع السلك الممرر للكهرباء على الأذنين كمرحلة أولى ثم يتحوّل

إلى العديد من أعضائه الأخرى لفترات زمنية متتالية تزيد مدتها عن دقيقة وتكون متكررة "ويقوم الجلّادون بهذه العملية من التعذيب عموما في الليل" [21] .

لقد استعمل الجلادون أسلوبا آخر يعد من أخطر وأبشع أنواع التعذيب وهو إدخال الشخص في حوض من الماء و إرسال التيار الكهربائي ثم يقومون بإغراق الجسد كله في الماء المكهرب، ويتّبع هذه الطريقة المظلّيون على ضحاياهم ،مع العلم أنّ المعذبين لا يطلق سراحهم إلا عندما يعالجون من آثار التعذيب وهذا لتزوير وتزييف الحقائق.

لقد كان التعذيب الكهربائي يطلق عليه إسم "جيجين Gégène" نسبة لآلة توليد الطاقة الكهربائية والتي كانت تستعمل للإشارات أو العلامات المغناطيسية الخاصة بالجيش، مع استعمال الأقطاب الكهربائية التي يمكن إلصاقها بأي جزء من الجسد خاصة الأعضاء الحساسة .وقد عُذّب "هنري علّاق" من طرف الفرنسيين وصرّح عقب تجربته الأولى مع آداة وآلة "جيجين" في وصفه للتعذيب الذي تعرّض له بعد أن ألصقت الأقطاب الكهربائية بأصابع يديه وأذنيه قائلا: ''...لقد انفجر وميض من البرق بمحاذاة أذني وشعرت بأن قلبي بدأ ينبض نبضا سريعا في صدري ،ثم استعملت أداة مغناطيسية أخرى وبدلا من التشنّجات الحادة والسريعة التي بدى أنها تمزّق جسدي إلى جزئين، أصبح الألم أكثر حدة بحيث امتلك كل العصارات جسدي وبرزت التشنّجات التي دامت لفترة طويلة، وفي المرحلة التالية وُضعت الأقطاب الكهربائية في فمي ثم مرّر التيار الكهربائي بواسطة تلك الأقطاب عبر فكّي بحيث أصبح من المستحيل عليّ فكّ أسناني عن بعضهم البعض رغم الجهد الكبير الذي بذلته.

– التعذيب بالماء :

يقوم الجلّادون بتوثيق الضحية على كيفية خاصة ،بحيث لا يستطيع الحركة ثم يمدُّ من الحنفية أنبوبٌ نحو فمه حتى يمتلئ جوفه ويكاد يختنق ،"وعندئذ يتركونه ثم يشرعون في ضربه بالأرجل ويأخذ الماء ينبع من جميع منافذ جسمه ،وتارة أخرى يشدّون وثاقه ويلقونُ به في حوض مملوء بالماء ويقف الجلّاد المكلّف بتعذيبه لتغطيسه قسرا ورفعه ثم يخرجه للرفس بالأقدام وقد يموت الكثير تحت هذا التعذيب" [22] .وقد تعدّدت كيفيات التعذيب بالماء ويمكن تصنيف ذلك كما يلي:

- **الصنف الأول:** إفراغ الماء في البطن من الفم ويكون ذلك إما بإدخال الماء بواسطة قمع موضوع في الفم ويفرغ الماء فيه، أو بواسطة أنبوب موصول بحنفية ويدخل في فمه حتى ينتفخ بطنه إنتفاخا وحشيا.
- **الصنف الثاني:** التعذيب بالمغطس وقد اختلف التعذيب في هذا الصنف وكانت فيه عدة طرق، فهناك طريقة كان فيه المعذَّب يجرّد من ثيابه في الليل حيث يشتد البرد ويلقى به في مغطس مليئ بالماء ويبقى رأسه تحت الماء قسرا حتى يختنق.ومن بين الطرق أيضا تلك التي يوضع فيها المعذَّب جالسا وتوضع تحت ركبتيه عصا ويكف ذراعيه تحت العصا ثم توثق ركبتاه ، توضع طرفا العصا على حافتي مغطس به ماء قذر متعفن فيغطس رأسه في ذلك الماء.
- **الصنف الثالث:** ويدعى "القماط" يتم هذا النوع من التعذيب بربط جسم المعذَّب بلفافة كما يربط الرضيع المقمط، "ويعلق من رجليه بالحبل حيث يدلى بعجلة إلى ماء البحر ،فيبقى غارقا عدة ثوانٍ، ثم يخرجونه لاستنطاقه ويعيدونه من جديد إلى أن يتكلم أو يموت"[23].

وهناك ممارسات أخرى في التعذيب عن طريق استعمال المياه مثل إشباع الزنزانات وملئها بالمياه نهارا وخاصة في الليل وهو ما يستحيل معها النوم.

-التعذيب بالنار

أخذ التعذيب بالنار عدة أشكال وطرق نذكر منها:

- يكون المعذَّب جالسا على كرسي ومربوط فيه، صدره عارٍ حينها يقوم الجلّاد بإطفاء سجائره عليه.

- كما كان يوضع المعذَّب على طاولة عمل وهو عار الصدر، ويبلل جسمه بالبترين ثم يوقد الجلّاد النار، وكانت نتائج الحرق وخيمة وخطيرة جدًّا على المعذَّب. (24)

- كما كانوا يقيدون يدي المعذَّب من الخلف ويحرقون أظافره وأطراف أصابعه بالكبريت، وقد توضع أرجل المعذَّب عارية تحت شمعة موقدة حيث كانت هذه العملية تخلف ثقوبا خطيرة.(25)

وهناك عمليات وحشية أخرى للتعذيب يشعر من خلالها المعذب أن جسمه يشتعل ويحترق بدون نار ونذكر بعضا منها:

- حرق الجسم بالمكواة وبالأخص الصدر والذراعين وأصابع الأرجل.(26)

- يقطع الجلّاد بسكين حاد مسنون قطعا من لحم المعذب ثم يوسع الجرح ويحكها بالملح الحجري.(27)

-التعليق في وضعيات مختلفة

تعد هذه الطريقة من أفضع وسائل التعذيب حيث يتم فيها تعليق ورفع المستنطق منكسا في عجلة، وهو موثوق اليدين والرجلين كماشية الذبيحة، رجلاه إلى

الأعلى ورأسه إلى الأسفل، ثم يطلق الحبل فيهوى المعذب على رأسه وظهره مما يسبب له حالة من الإغماء ،وبعد تكرار هذه العملية يصبح الجسم كالكتلة الدامية وفي الكثير من الأحيان تنهار أعصاب المعذب تماما أو يموت. (28)

وفي عملية أخرى يتم توثيق المعذب وهو جالسا على كرسي يشد عنقه بحبل دقيق ثم يجذب اثنان من الجلادين طرف الحبل إلى أن يعترف المعذب أو يموت شنقا.

وهناك عملية يمدد فيها المعذب على الأرض الباردة الرطبة وهو على هيئة صليب تشد رجلاه ويداه بأوتاد مضروبة على الأرض ويترك على هذه الحالة عدة أيام وليال، ومن خلال ذلك جن الكثير من المعذبين الذين سلك عليهم هذا النوع من التعذيب(29) .

-دفن الأحياء

عندما ينتهي الجلادون من الاستنطاق ولا يصلون إلى معلومات تروق لهم ، يلجؤون إلى الحل الذي يريحهم وهو أمر المعتقل بالحفر بقدر قامة الإنسان ثم يوقفونه في الحفرة ويرمى عليه التراب حتى لا يبقى منه سوى رأسه ويتركون بالعراء في شدة الحر والبرد إلى أن يموت.

كما يقومون بالدفن الجماعي حيث يأمرون مجموعة بحفر حفرٍ تسعهم ثم يضعونهم داخلها وقوفا حيث لا يستطيعون الحركة ،ثم يضعون فوق رؤوسهم عوارض لوح حتى لا يتمكنوا من الخروج وهذا لمدة تتراوح مابين ثلاثة إلى سبعة أيام حتى تنهار أعصابهم أو يموتون .

ويذكر "يحي بوعزيز" ما حل بشباب إحدى القرى الجزائرية (قرية المعاتقة) بعدما جمعهم جنود العدو وهم قرابة مائتي شاب وأمروهم بحفر خندق كبير ، ثم

قام المجرمون برمي أحد عشر من خيرة شباب القرية في ذلك الخندق، وأجبر الباقي -تحت التهديد والتنكيل-على ردم التراب عليهم وهم أحياء[30].

ولنا في مثل هذه الطريقة من التعذيب شهادة حية للمجاهد "بومنجل سباغ" من بلدية " أم الطوب" بسكيكدة، الرجل الذي استطاع أن يفر لجنود الاحتلال في إحدى العمليات وهي شهادات موثقة في متحف المجاهد بالجزائر العاصمة.

-نزع الأظافر وقلع الأسنان

يعد من أفتك أساليب التعذيب حيث يقوم الجلّاد بنزع الأظافر بالمحددات و الكلاليب وقلع الأسنان والأضراس الواحدة تلوى الأخرى ،وبعدها يجبرونه على الاعتراف أم يكررون العملية وبهذا يجد الضحية نفسه مضطرا بأن يختار بين ثلاثة أمور إمّا أن يعترف لهم بما يريدون أو يموت تحت التعذيب،وإما أن يذهب أمام قاضي التحقيق على هذه الحالة المشوهة ، ومن العجيب أن القاضي لا يكلف نفسه أن يَسألَ الضحية عما أصابه،وإنما يصادقُ على كل ما قالته الشرطة الذين هددوه إن هو أنكر حرفا فسيعاد إلى أيديهم وتتكرر عمليات التعذيب معه.

ولنا في مثل هذه الطريقة من التعذيب قصة مؤثرة للمجاهد"زغدود مبارك السيتي" من بلدية "أم الطوب" بسكيكدة،الذي كان ضحية هذا الأسلوب الرهيب من التعذيب بعدما قام الجلادون بقلع 13 سنا بالكلّاب للرجل.

-تسليط الكلاب الضارية

من أفضع الأساليب التي إلتجأ إليها زبانية الإستعمار هو تسليط الكلاب الضارية المدربة على المستنطق وإغرائها بالضحية ،فبعد التعذيب والتنكيل بالكهرباء والماء والجلد وغيرها ،تترك الضحية بالعراء ثم يرسل إليها الكلب فيأخذ في تعذيبه ،فيمزّق ثيابه وينهش لحمه ويصارعه ويمرّغه وهذا ما حصل على سبيل المثال

للشهيد "بوجمعة فكراش" في مركز التعذيب دار الحانوت بمنطقة أم الطوب بسكيكدة ."وقد اختير إلى هذا الغرض فصائل الكلاب الأكثر وحشية ولها قابلية الانتقام فأنفقت عليه أموالا طائلة لتدريبها "[31] .

في هذا السياق يقول احد المجاهدين:"...عندما حوّلنا إلى المعتقل كان أول من بادرنا به جنود العدو هو تسليط الكلاب علينا فأخذت هذه في نهش لحومنا...وبعدما لعبت بنا الكلاب كيفما شاءت تم تحويلنا إلى الغرف وإثر ذلك أُمرنا بترع أحذيتنا والجري حول القصر خمسة عشر مرة فوق حصى محدد الأطراف ،وكلاب المعتقل البالغ عددها أربعا وثلاثين كلبا كانت تلاحقنا و يا ويح من يتعثّر فينا أو يتأخّر ليسترد أنفاسه".

هذه أهم أنواع التعذيب والطرق والأساليب التي مارسها الفرنسيون على الجزائريين ،وإن أردنا في هذه الدراسة أن نخصص نوعا آخر من التعذيب يعكس مدى همجية عديمي الشرف والضمير الإنساني وبالخصوص أولئك الخونة الذين ساهموا إسهاما في ابتكار طرق وأساليب جديدة تمس بكرامة وشرف الجزائريين، و لم تستطع آلة المختصين النفسانيين ولا آلة التعذيب الرهيبة أن تجعلهم يحيدون عن مبادئهم وخيانة ثورتهم، إلا أن الأمر كان في غاية الصعوبة والخطورة بعد الوصول إلى نوع جديد من التعذيب دلّهم عليه الخونة إنّه التعذيب الجنسي.

3- التعذيب الجنسي

يعتبر هذا النوع من التعذيب الذي اشتهرت به "مزرعة أمزيان" بقسنطينة و"فيلا سوزيني" بالجزائر العاصمة وبعض مراكز الاستنطاق الأخرى أشد وقعا على المعتقلين بصفة خاصة والجزائريين بصفة عامة لأنه يمسّ بكرامة الإنسان ،فكان

بمقدور الجزائريين تحمل كل أنواع التعذيب الجسدي وحتى النفسي ،بينما هذا النوع من التعذيب هوى بمجرمي فرنسا إلى أدنى المستويات بعدما مارسوه بطرق منحطة على جميع الجزائريين السجناء وحتى على غير السجناء رجالا وشيوخا وأطفالا وبالخصوص النساء اللاتي عانين الويلات بعدما كنّ عرضة أكثر من غيرهن لتلك الأفعال البهيمية الوحشية .ومن هذه الأنواع نذكر :

- **التعذيب عن طريق الاغتصاب**

لقد مورس هذا النوع على النساء وحتى الرجال ففي رواية ذكرها الأستاذ يحيى بوعزيز تتعلق بواقعة حدثت في قرية أبو يعلى ببلدية خليلي الأربعاء ناثيراثن وهذا سنة 1957 حيث قام ستون جنديا فرنسيا باغتصاب جماعيا لإحدى فتيات القرية التي كان عمرها سبعة عشر سنة وهذا أمام مرأى من أهلها وسكان القرية. وقد استعمل الاغتصاب من طرف الجلّادين كوسيلة من وسائل الاستنطاق وهذا من خلال إحضار إحدى محارم المعتقل المجاهد ويخيرونه بين الاعتراف أو الاغتصاب. وكثير من نساء المجاهدين تعرّضن إلى مثل هذه الأعمال البشعة لإرغامهن على الاعتراف وإعطاء معلومات تخص أزواجهن.

- **التعذيب عن طريق الإهانة الجنسية**

وهي ممارسات اقترحها الحركى والخونة على سلطات الاحتلال ووظفت على النساء بالخصوص وعلى الرجال كذلك ولا يتّسع المقام لذكر هذه النماذج البشعة لكننا نكتفي بالقول أنّ النساء المجاهدات وزوجات المجاهدين كان يمارس عليهن هذا الشذوذ تحت قهقهة وضحك الحركى والخونة.

والواقع أن أساليب التعذيب التي طبّقتها السلطات الاستعمارية كثيرة ومتعددة لا نستطيع حصرها أو الإحاطة بها وما خفي كان أعظم خصوصا تلك المتعلقة

بالشرف والأخلاق وقد بقيت هذه الوقائع ذكريات سوداء لا يستطيع من تعرض لها من المجاهدين أو المجاهدات الأحياء التكلم عنها حياء واستحياء على الرغم من كونها لازالت تمثل كابوسا إلى اليوم وهذا ما يدل على فظاعة ووحشية فرنسا التي فاقت كل تصور وقد شاهدنا بأعيننا مجانين يجوبون الشوارع تائهين من هول التعذيب.

إن حرص فرنسا على تمسكها بالجزائر وإرغام الشعب الجزائري على التراجع والاستسلام عبر كل مراحل الاحتلال وخاصة خلال الثورة جعلها تقوم بإنشاء مدارس خاصة للتعذيب على رأسها مدرسة "جان دارك" بمدينة سكيكدة لتدريس فنون التعذيب وحرب الإبادة وأساليب القمع الوحشي.الأمر الذي جعل تاريخ فرنسا بالجزائر يكون حافلا بالجرائم الوحشية البربرية ،والذي لا يمكن أن يضاهيه تاريخ أي عصر من عصور الظلام والإسترقاق التي عاشتها البشرية على مر الأجيال.

الخاتمة

من خلال ما تقدّم ذكره يمكن الوصول إلى النتائج الآتي ذكرها:

- إن فرنسا التي احتلت الجزائر بتاريخ 05 جويلية 1830 جاء بعد سنوات من التحضير والمؤامرات على الجزائر منذ عهد شارلكان سنة 1541 وليس كما يدّعي البعض من خلال واقعة المروحة.

- ساهمت الجزائر بكل ما تملك في تقديم يد العون والمساعدة للثورة الفرنسية أو الدولة الفتية بالغذاء والقروض دون فوائد وكان جزاؤها جزاء "سنمار".

- ارتكبت فرنسا أبشع المجازر آن احتلال أرض الجزائر بدءا من مجزرة العوفية وبني صبّيح و أولاد رياح وغيرها.

- تشهد تصريحات القيادات الفرنسية على بشاعة ما حصل.

- استعملت فرنسا سبلا وطرقا لبسط سلطانها على الجزائر والجزائريين من خلال السجون والمعتقلات التي وزعتها على مناطق كثيرة من البلاد.

- مارست فرنسا كل أنواع التعذيب والتنكيل داخل هذه السجون والمعتقلات بشهادة زبانيتها.

- اخترقت فرنسا المبادئ والقيم الانسانية البسيطة بل ضربت عرض الحائط بالمبادئ التي قامت عليها الثورة الفرنسية "الحرية-المساواة-الأخوة" وإعلانها العالمي لحقوق الإنسان والمواطن لاحقا.

- لم يتطرّق هذا العمل والبحث إلى سجون ما وراء البحار التي أرسل إليها الجزائريون مثل سجون فرنسا وكاليدونيا الجديدة شرقا وجزر الأطلسي غربا وفي عمق إفريقيا جنوبا والتي نفي إليها آلاف الجزائريين قسرا.

- بقدر ما كانت السجون والمعتقلات والمنافي مراكز لقمع الحريات والتعذيب. إلا أنها كانت كذلك مدرسة للوطنية حيث برزت قيادات من داخل السجون كان لها الدور البارز في المقاومة بجميع الأشكال.

- في خضم السجال القائم حول تجريم الاحتلال عندنا وتمجيده عندهم أهمسُ في آذان البعض أن تجريم الاحتلال الذي لم نتمكن من الوصول إليه اليوم لا يحتاج إلى قانون تصدره هيئة تشريعية وتنفّذه هيئة تنفيذية ذلك أنّ جرائم فرنسا تجدها أينما ولّيت وجهك في ربوع هذا الوطن.

البيبليوغرافيا

[1] إنها محرقة الظهرة التي ارتكبها السفاح "بيليسيي" ضد قبيلة أولاد ريّاح التي صفّيت عن آخرها.

[2] عيسى كشيدة، مهندسو الثورة _منشورات الشهاب_ الجزائر 2003 ص ص 107-108.

[3] بلقاسم متيجي، جحيم معتقل موران_الجمعية التاريخية 11 ديسمبر 1960- وزارة المجاهدين - الجزائر 2009.

[4] أولها معتقل "قلتة السطل" شمال مدينة حاسي بحبح والذي أنشئ بين شهري نوفمبر وديسمبر 1954.

[5] محمد الطاهر عزوي، ذكريات المعتقلين_منشورات متحف المجاهد_الجزائر _1996 ص 20.

[6] جون لوك إينودي، مزرعة أمزيان_ترجمة رابح حلّيس ونجيب طوايبية- دار ميديا بلوس- قسنطينة- الجزائر 2009 ص 10.

[7] Boualem Nedjadi : les tortionnaires 1830-1962_ed.Anep _Alger-2001 p 185.

[8] بول أوساريس _شهادتي حول التعذيب_المصالح الخاصة بالجزائر_1957-دار المعرفة 2008 ص 157.

[9] سيصبح لاحقا وزيرا للصحراء وسيسعى قدر الإمكان لفصلها عن الشمال في إطار سياسة فصل الصحراء.

[10] رفائيل برانش، التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير الجزائرية _ترجمة أحمد بن محمد _دار أمدوكال للنشر -باتنة 2010 ص 20.

[11] محمد مجاود_ سياسة التعذيب الاستعمارية ابان الثورة التحريرية وتداعياتها المعاصرة_مكتبة الرشاد-الجزائر- 2006 ص 112.

[12] أحمد رضوان شرف الدين: "التعذيب قراءة في جريدة المجاهد (1957-1962)".المصادر ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ،الأبيار_الجزائر ،عدد08 ،2001،ص ص (23-24)

[13] علي العياشي، قصر الطير معتقل الموت البطيء_أول نوفمبر_العددان 88و89_فيفري 1988_ص 32-33.

[14] محمد الصالح الصديق،كيف ننسى وهذه جرائمهم _دار هومة الجزائر 2012 ص148.

[15] محمد مجاود_المرجع السابق_ص ص 112-113.

[16] هي مدينة خميس مليانة حاليا ،كانت تقع في وسط الولاية الرابعة خلال الثورة.

[17] وهي سياسة اعتمدتها فرنسا منذ بداية الاحتلال.

[18] ولد بـــــــــــــــ"فور دو فرانس" في 20 جويلية 1925 بالمارتنيك في أمريكـــا اللاتينيـــة ،عمـــل بمستشفى البليدة منذ عام 1953 وأثناء الثورة التحريرية ،وكان شاهدا على عدة حالات مرضية من ضحايا التعذيب ،كان مناصرا للقضية الجزائرية الأمر الذي جعل الوزير المقيم العام بالجزائر "روبير لاكوست" يقـــوم بطرده من الجزائر ،فالتحق بالحكومة المؤقتة في تونس وشارك في بعثات جبهة التحري الوطني ، وقبل أن يُعيَّن سفيرا للحكومة المؤقتة بغانا فكان بالنسبة للجزائر السفير والممثل للتيار التحرري في افريقيا وآســـيا وأمريكـــا اللاتينية ،توفي بالولايات المتحدة الأمريكية بعدما ألمّ به المرض في 12 ديسمبر 1961 ودفن بالجزائر .لقـــد قادته نشاطاته العلمية واهتماماته بالظواهر الاجتماعية حيث اهتم بمفهـــوم الاســـتعمار ووضـــع الشـــعب الجزائري.من أهم أعماله كتابه "معذبو الأرض" الذي نشر سنة 1961.

[19] فرانس فانون_معذبو الأرض _ط1_ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي-دار القلم-بيروت 1972 ص 205.

[20] بيير هنري سيمون_ضد التعذيب في الجزائر_ط1-ترجمة بهيج شعبان -دار العلم للملايين-بيروت-لبنـــان 1957_ص51.

[21] بوعلام نجّادي_الجلادون_1830-1962_مرجع سابق ص ص 145-146.

[22] أحسن بومالي_**التمدن الفرنسي وفن التعذيب**_ مجلة أول نوفمبر -العدد31-المنظمة الوطنية للمجاهدين ص08 .

[23] المجاهد_التعذيب الاستعماري في الجزائر_ج1-العدد 08-5أوت 1957-ص152.

[24] بوعلام نجادي، المرجع السابق،ص ص 149-150.

[25] محمد الصالح صديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، المرجع السابق_ص 145.

[26] جريدة المجاهد _**"التعذيب الاستعماري في الجزائر"**_ المقال السابق، ص 152.

[27] محمد الصالح صديق، المرجع السابق، ص 146.

[28] بوعلام نجادي، المرجع السابق،ص154 .انظر أيضا أحسن بومالي : المقال السابق ، ص27

[29] جريدة المجاهد المقال السابق ص 152.

[30] يحي بوعزيز _الثورة في الولاية الثالثة ،مرجع سابق ص 200.

[31] محمد منيع، قصص من فضائع الاستعمار في الجزائر -دون طبعة- منشورات مكتبة دار الكتـــاب_الجزائر 1963-ص 18.